

**Lebanese American University**

---

**From the Selected Works of Ghassan Dibeh**

---

April, 2009

# Karl Marx and the Capitalist Crisis

Ghassan Dibeh, *Lebanese American University*



SELECTEDWORKS™

Available at: [http://works.bepress.com/ghassan\\_dibeh/39/](http://works.bepress.com/ghassan_dibeh/39/)

## كارل ماركس والازمة الرأسمالية

د. غسان دبية

منذ احتدام الازمة الرأسمالية في ايلول 2008 وحتى الان ازداد الاهتمام العالمي على جميع المستويات بالفكر الاقتصادي والسياسي لماركس مترافقا مع النقاش الدائر حول مستقبل الرأسمالية. فلأول مرة منذ زمن بعيد (منذ ثلاثينيات القرن العشرين) يتم البحث بجدية على مستويات صياغة وصناعة القرارات في الغرب من مراكز فكر الى الاكاديميين الى الصحافة (حتى الاقتصادية والمالية منها) عن انتهاء على الاقل حقبة من الرأسمالية من دون وضوح في الافق ملامح المرحلة الجديدة من الرأسمالية او حتى امكانية الانتقال الى نظام اقتصادي اخر، ففي خضم هذا النقاش تبرز افكار كارل ماركس مرة اخرى لتضع على الطاولة موضوعات كثيرة تتراوح بين الترابط بين الرأسمالية والفروقات الاجتماعية والطبقية التي تنتجها والتي تعمقت في الثلاثين عاما الماضية وبانت الى العالم بشكل فاقع في هذه الازمة الى نظريات ماركس حول الازمات الدورية للرأسمالية الى احتمال الانتقال الى الاشتراكية كنظام اقتصادي عقلائي متقدم على الرأسمالية من النواحي التوزيعية والانتاجية.

بات من المؤكد ان ماركس كمفكر يرفض العالم ان يموت فحتى في احلك ظروف الماركسية بعد انتهاء التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي، انتخب ماركس في العام 1999 كمفكر الالفيه، متقدما على جميع المفكرين والعلماء الذين شملهم الاستطلاع الذي اجرته الـ "بي بي سي" ومنهم البرت اينشتاين. وفي عام 2005 في استطلاع آخر للـ "بي بي سي" عام 2005 احتل ماركس المرتبة الاولى كأهم فيلسوف في التاريخ متقدما على فلاسفة كآرسطو وسقراط وافلاطون وديكارت وغيرهم. وخلال هذا الاستطلاع حاولت مجلة الـ Economist المحافظة الشهيرة ان تهزم ماركس عبر الدعوة الى قرائها للتصويت لدافيد هيوم! لكنها فشلت. وتزداد الان بعد الازمة شعبية كارل ماركس فأزادت مبيعات كتبه وخصوصا "رأس المال" في المانيا وفي جميع انحاء العالم، وصدر في اليابان في كانون الاول الماضي كتابا للرسوم المتحركة عن رأس المال نفذت طبعته الاولى سريعا من الاسواق ويتم الان في الصين التحضير لميوزيكال على طريقة برودواي عن رأس المال من المتوقع لها ان يكون لها وقع شعبي كبير مما أقلق البعض في الصين من الرسالة السياسية للمسرحية خصوصا ان الصين تمر بفترة صعبة مع احتدام التناقض بين نموذج السوق المتبع والفروقات الاجتماعية والبطالة الناتجة عن الازمة. والرسالة واضحة من شرق المانيا حيث بين استطلاع اخير ان 43% من الالمان الشرقيين يؤيدون الاشتراكية وينتدرك الكثيرون المانيا الديمقراطية بايجابية كبيرة ووصلت شعبية حزب اليسار الى 30% في وقت تتعمق الازمة الاقتصادية في المانيا وتتجه انجيلا ميركل أكثر فأكثر الى اليمين. لكن الكثيرون من الالمان يعيدون الاعتبار الى مواطنهم ماركس عبر قراءته واتباع فكره وحتى اعادة الحياة الى تماثيل ماركس واخرها قرار جامعة لايبزغ باعادة نصب ماركس الى سابق عهده.

طبعا هذا غيظ من فيض العودة الى ماركس والفكر الاشتراكي. ولكن لماذا العودة الى ماركس وليس غيره من الذين عبر التاريخ حاربوا الظلم ودعوا الى العدالة الاجتماعية؟ ان الاجابة على هذا السؤال معقدا بعض الشيء الا ان امران اساسيان يبرزان. الاول ان الماركسية ارتبطت بحركة سياسية عالمية كبرى منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الان وارتبطت تاريخ القرن

العشرين بشكل اساسي بهذه الحركة والثورة الاشتراكية عام 1917 اسست لأول دولة في التاريخ تخطت الملكية الخاصة للراسمال واشرت على مقدرة الانسانية على تحقيق انجازات كبرى في الاقتصاد والتكنولوجيا واكتشاف الفضاء والعلوم الاساسية والعدالة الاجتماعية والتعليم والصحة من دون سيطرة الملكية الخاصة والراسمال.

اما السبب الثاني فان فكر كارل ماركس فهو فكرا علميا ينقض الفكر الراسمالي ليس من المنطلق الانساني البحث بل من منطلق تقديم نموذج وقوانين للنظام الاقتصادي الراسمالي وديناميكيته وتطوره تبنا عليها التوقعات العلمية للزامات الراسمالية وامكانية التحول الى الاشتراكية كنظام ليس فقط اكثر عدلا بل نظاما اقتصاديا متقدما على الراسمالية في ميادينها الاساسية من نواحي الكفاءة والانتاجية والابتكار العلمي والتكنولوجي.

وتتمحور نظرية ماركس الاقتصادية حول ثلاثة امور اساسية. اول تحديد قيمة السلع على اساس الوقت - العمل الاجتماعي الضروري لانتاجها التي تؤدي الى نظرية القيمة الزائدة ومفهوم الاستغلال في الاقتصاد الراسمالي. وهنا مفهوم الاستغلال هو مفهوما علميا وليس اخلاقيا او انسانيا حيث يتشكل الاستغلال من الفرق بين القيمة والاجر في علاقات الاجر الراسمالية. ثانيا، ونتيجة لطبيعة التبادل في سوق العمل الراسمالي حيث يبيع العامل قوة عمله وليس عمله فنتحول سير عملية العمل داخل المؤسسة الراسمالي الى علاقة سيطرة يحاول من خلالها الراسمالي انتزاع أكبر كمية عمل من قوة العمل لدى العمال وتتحدد بالتالي مدة يوم العمل واستعمال التكنولوجيا وشكل المؤسسة الراسمالية وتراتبية العمل. ثالثا، وهو المحور الاهم في سياق الازمة الحالية هو نظرية ماركس حول ديناميكية التقلبات الاقتصادية وشروط النمو المتوازن وميل الاقتصاد الراسمالي الى الركود واحداث الازمات الدورية والبنوية، وهنا كان ماركس سابقا في عصره اذ كما قال قاسيلي ليونتييف (الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد) فان ماركس قد وضع نظرية التقلبات الاقتصادية في مقدمة التحليل الاقتصادي. كما برهن الاقتصادي لورانس كلاين (ايضا حائز على جائزة نوبل للاقتصاد) ان النظرية الكينزية للطلب العام يمكن اشتقاقها من النظام الماركسي كحالة خاصة وبالتالي فان النظرية الاقتصادية الماركسية اكثر شمولاً من نظرية كينز (بعد ادخال بعض من الافتراضات عن العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية التي تقدم بها ماركس). ولقد كان ماركس دقيقا جدا في اطار تمكين القاعدة العلمية لنظريته حول الازمة ففي رسالة الى انجلز قال "لقد حاولت مرارا ان احتسب حركات الصعود والهبوط في التقلبات الاقتصادية كموجات غير متتاسقة من اجل وضع نظام رياضي لقوانين الازمة الاقتصادية. انا لا ازال اعتقد انه يمكن تحقيق هذا عبر التشخيص النقدي للمعطيات الاحصائية" كما ان نماذج اعادة الانتاج التي قدمها ماركس لاحتساب حاجات التوازن في النمو الاقتصادي الراسمالي يمكن اعتبارها اول نموذج اقتصادي قياسي للاقتصاد.

من هنا يمكن فهم مدى تأثير ماركس العميق في التحليل الاقتصادي للراسمالية وسبب قوة عودته كلما دخلت الراسمالية في ازمة حتى يمكن القول انه ما استمرت الراسمالية سيبقى ماركس المفكر والفيلسوف والاقتصادي الاول لعصر الراسمالية.

عندما سُئل رئيس الوزراء الصيني شو ان لاي عن ما يظنه في تاثير الثورة الفرنسية قال "من المبكر جدا القول!!" ملاحظة شو ان لاي هذه تكشف البعد الزمني الواسع للتاريخ والتاثيرات التاريخية حتى لثورات كبرى كالثورة الفرنسية والثورة البولشفية وبالتالي فان حكم الكثيرين على ماركس في السنوات الاخيرة كان مبكرا بل مبكرا جدا.

